سلسلة تفريغات شبكة بينونة

لزوم الجماعة

الشيخ

حامد بن خميس الخنبي

>> قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية <<

من هنا باقي التفريغات

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسرُّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغـًا

لمحاضرةً بعنوان

لُزومَ الجَماعَة

للشَّيْخِ

حَامِد بْن خَمِيس الْجَنِيبِي

-حفظه الله تعالى-

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِ العالمين، خالق الخلق، ومدبرهم، ومصرفهم سبحانه كيف يشاء، والصلاةُ والسلام على أشرفِ الأنبياء محمد نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإنَّ الله تعالى قد بعث نبيه محمدًا صلوات الله وسلامه عليه بالحنفية السَمحة، فنسخت شريعته كل شريعة، وشملت دعوته كل أمة، وخالفت ما كان عليه أهلُ الجاهلية من الشنائع والقبائح، والتي كان من أعظمها عدم وجود الشرع والحكم الذي يفصل بين القبائل المتناحرة المختلفة.

فكانوا متفرقين في عبادتهم، متفرقين في أخلاقهم، متفرقين في عقائدهم، وكانت تثور بينهم الثارات والحروب العصبية، وكانت تلك الحروب أساسها العدوان، أو الانتصار للعصبية القبلية.

فجاءَ نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه جاء بالهدى والرحمةِ، وبالإتلاف وبالاجتماع، وبعبادةِ الله ﷻ وحده.

وصفَ الله ﷻ له صفوةَ الأتباع من البشر الذين أنارَ الله ﷻ بهم طرقَ الضلالة، والجهالة، والظلماء، بعد أن كان جُملة منهم في جاهليةٍ جهلاء، لا تعرفُ معروفًا، ولا تُنكرُ منكرًا إلا ما أُشربت قلوبهم من الضلالة قبل الهدى.

فجاءَ رسول الله ﷺ فأنار لهمُ الطريق، وأوضح لهمُ المحجة، وخالفَ لهم وبهم سُبلَ الضلالة فدلَّهم على الحق الذي فيه نجاتهم وصلاحهم، فعرضه عند ذلك أقوام لما رأوا من ضياعِ الملك وقطعِ حبائلِ الشيطان التي سوَّلها لهم بعبادةِ الأصنام التي كانوا عليها عاكفين.

ولو تأمل المتأملُ منهم لعلم أنَّ هذا النبي الكريم قد جاءهم بالخير من عند ربٍ حكيمٍ عليمٍ خبير، فقد جاءهم بما فيه صلاحهم، وصلاح ذراريهم وأهليهم.

فلم تقنع طائفة ممن بُعثَ فيهم رسول الله ﷺ بالحق الذي جاء به من عند الله ﷻ، فكم من ناصبٍ له البغضاءَ والشحناء والعداوة، وكم من مُفْنٍ نفسه في إيذاءِ رسول الله ﷺ.

ثم لو تأملوا حالهم مرةً أخرى لاستشعروا ما كانوا فيه من النعرات، والتفرق، والعصبيات، والاعتداء الذي يكون مُرادًا به الاستعلاءُ على الغير.

ومن تأمل تاريخَ الجاهلية رأى في ذلك عجبًا؛ فانظر فيما حصل في حرب داحسَ والغبراء التي كانت بين عَبسٍ وذبيان، وقد كانت داحس فرسًا لقيس بن زهير، والغبراء فرسًا لحمل بن بدر، وقد كان سببُ تلك الحرب رِهانٌ بين الرجلين في السباق.

وفي ذلك يقول زُهير بن أبي سلمى:

وَمَـا الحَـرْبُ إِلاَّ مَـا عَلِمْـتُمْ وَذُقْتُـمُ ... وَمَـا هُـوَ عَنْهَـا بِالحَـدِيثِ المُرَجَّـمِ

مَتَـى تَبْعَـثُوهَا تَبْعَـثُوهَا ذَمِيْمَـةً ... وَتَضْـرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُـوهَا فَتَضْـرَمِ

ومثلها حرب البسوس التي دارت رحاها أربعين عامًا بين بكر وتغلب، وأشهر ما قيل فيها أن الحرب كانت لأجل قتل كليب بن ربيعة ناقةً كانت لامرأة تُسمى البسوس، فاستنجدت البسوس بقومها، فجاء ابن أختها جساس بن مرة فقتل كليبًا، فحصلت معارك بين تلك القبائل وأحلافها،

وفي ذلك يقول المهلل بن ربيعة:

وَلَسْـتُ بِخـالِعٍ دِرعـي وَسَـيفي ... إِلـى أَن يَخلَـعَ اللَيـلَ النَهـارُ

وَإِلّا أَن تَبيـدَ سَـراةُ بَكـرٍ ... فَـلا يَبقـى لَهـا أَبَـداً أَثـارُ

فكانت الحروب تقوم لأجلِ توافه الأمور، وسفسافها، وحقيرها، فجاء رسول الله ﷺ لتأليفِ القلوب وجمعها على كتابِ الله ﷻ، وعلى توحيدِ الله ﷻ، وعلى سنةِ رسول الله ﷺ.

قال الله –تعالى–: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأَنفَال من الآية ٦٢ الى الآية ٦٣].

<u>وإنَّ من المتقرر عند هذه الأمة كبيرها وصغيرها، عالمها وجاهلها، ذكرها وأُنثاها</u>: أنَّ النبي ﷺ قد علَّم هذه الأمة كل ما فيه صلاحها وهدايتها، حتى إنه علَّم أمته أحكامَ قضاء الحاجة، كما صح

أنَّ سلمان ﷺ قال: «نَهَانَا ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، وَأَنْ لا نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، وَأَنْ لا يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ»[1].

ومن علَّم أمته أحكام قضاء الحاجة، فلأن يكون من باب أولى قد علَّم أمته أحكام حفظ الدين والشريعة، وأسباب حفظها وصيانتها، وصيانةِ أهلها، فقد كان رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ»[2].

ولذا كان من أعظمِ المقاصد الشرعية لدين الإسلام:

- الاجتماعُ على كتابِ الله تعالى، وعلى سنةِ نبيه ﷺ.
- والالتفافُ حولَ ولاة الأمر.
- ولزومُ جماعةِ المسلمين.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ»[3].

والناظرُ في تاريخِ الإسلام، وما حصلَ فيه من التفرقِ والتشرذم، والاختلاف، وكيف تدرجَ الأمر بعدَ أن كان أهله في عزةٍ ومنعة وقوة وإتلافٍ واجتماع، عاملين بقول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٠٣].

معترفين بمعنى قول رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»[4].

---

(1) – أخرجه أيضًا مسلم (262).

(2) – أخرجه الإمام أحمد في المسند (247).

(3) – أخرجه مسلم (1715).

(4) – أخرجه البخاري (67).

وانظر في تاريخ الفتن التي حلت بهذه الأمة؛ فإنَّ من أعظم المفاسد التي حلت بهذه الأمة مفارقة الجماعة، بل إذا تأملت ونظرت فإنها أول وأعظم المصائب التي حلت بالمسلمين حين مرقت فرقة عن جماعة المسلمين، فكانت سببًا في سفك دماء الصالحين من أصحابِ رسول الله ﷺ.

ولا زالَ أثرُ تلك الفتنة ولهيبُ نارها تسطلي به هذه الأمة بين فينةٍ وأخرى وبين عصرٍ وآخر؛ منذ مقتل أمير المؤمنين عثمانَ بن عفان ﷺ، فكان ما حصل من عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهرَ الإسلام وأبطنَ النفاق، فزعم أن النبي ﷺ قد أوصى بالخلافة إلى علي ﷺ، وأخذ يجمعُ الناس ويُظهر مساوئ عثمان ﷺ؛ والتي هي في حقيقتها بين كذبٍ مفترى عليه، أو اجتهاد من اجتهاداته إن لم تكن من أعظمِ حسناته ﷺ، وقد نَفَرَ من هذا الرجل أعني عبد الله بن سبأ كثيرٌ من المسلمين حتى وجد بغيته في أهل العراق، واجتمع إليه نَفَرٌ منهم فحصل ما حصل من فتنة مفارقة جماعة الإسلام ممن فُتن بذلك اليهودي الذي كان مظهرًا لدين الإسلام، فأول ما سعى فيه تفرقة جماعة المسلمين، والطعنُ على ولي أمرهم، ولم يكن فيمن شارك في هذه الفُرْقَةِ الشنيعة أحدٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ.

فكان حاصل ذلك أعني تلك الفرقة التي حصلت من عبد الله بن سبأ ومن شاركه وعاونه؛ كان حاصلها قتلَ العابدِ الزاهد صاحبِ رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ﷺ.

وانظر بعد ذلك ما جَرَّته تلك الفتنة؛ فتنة الفرقة بين المسلمين ومفارقة الجماعة من الفتن التي توالت بعد مقتل عثمان ﷺ، ووصف ذلك يطول وبحسب العاقل أن يُدرك مما ذُكر شناعةَ هذه القضية التي قال فيها رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، أَوْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً الْجَاهِلِيَّةِ»[1].

فأولئك الذين فارقوا أصحاب رسول الله ﷺ حصل منهم ما حصل؛ من قتلِ هذا الأمير الصحابي الجليل.

---

(1) - أخرجه أحمد (5386).

ثم تأمل أيضًا فيما حصل بين أصحاب رسول الله ﷺ، ولسنا بصدد ذكر تفاصيل ذلك، ولكن قد أخبر رسول الله ﷺ عن خبرِ ما يحصل وقتَ الفُرْقَةِ بين المسلمين، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(1)

وهذه المارقة التي مرقت والفرقة التي فارقت المسلمين هي التي فصلت عن جيش علي ﷺ. والفرقة والاختلاف هو ما كان بين جيش الشام وجيش العراق.ففارقت هذه المارقة جماعةَ المسلمين، فكان نِتاجَ ذلك أن سلُّوا السيوف على أهلِ الإسلام، وكفَّروا أهل القبلة، فكفّروهم بالمعاصي بحسب ما يرون أنه من المعاصي، واستحلوا الدماء والأعراض، ثم استحلوا الخروج على ولي أمر المسلمين علي بن أبي طالب ﷺ فصار ذلك شعارهم، ولا زالوا يتوارثون إلى يومنا هذا فصار شعارهم الدعوةُ إلى تفريق الجماعة، والخروج على ولي الأمر، وتكفيرُ ولاة أمر المسلمين، واستباحة أعراضهم ودمائهم وأموالهم.

وهذا مصداق قول الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النَّجْم من الآية ٢ الى الآية ٤].

فهذه الطائفة التي مرقت لا زال لها ثمارٌ تتكرر وتعود بين الفينةِ والأخرى على الإسلام وأهله بالضرر والشرر والشر المستطير التي حَصلت به المفاسد العظام على الإسلامِ وأهله.

وقد قال رسول الله ﷺ فيهم: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ»(2).

۞ولا بدَّ لنا هنا من ذكرِ أسبابِ حصول الفرقة بين المسلمين، فإنَّ أسبابَ حصول الفرقة بين المسلمين أسبابٌ كثيرة.

⇦وأعظمُ تلك الأسباب: تركُ توحيدِ الله ﷻ.

---

(1) – أخرجه مسلم (1065).

(2) – أخرجه ابن ماجه (174).

أُولى تلك الأسباب: تركُ توحيدِ الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشُّورَى الآية ١٣].

فأمر الله ﷻ بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، فإقامةُ الدين تكونُ بتوحيدِ الله ﷻ أولًا فهو رأس الأمر، وعموده وأُسه الذي يُبنى عليه، وهو الذي بِهِ جاءَ جميع الرسل الذين أرسلهم الله ﷻ إلى الناسِ كافة، فدعوا جميعهم إلى توحيدِ الله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات الآية ٥٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأَنبِيَاء الآية ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزُّخرُف الآية ٤٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النُّور الآية ٥٥].

⇦ومن أسبابِ حصول الفرقة بين المسلمين: تركُ طاعةِ الله ﷻ، والعملِ بشرعهِ ودينهِ.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المَائِـدَة الآية ١٤].

فاللهُ ﷻ قد أخذ العهد والميثاق على النصارى بأن يعملوا بما أمر الله ﷻ به، فلما ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾؛ من توحيد الله والعمل بشرعه، قال الله سبحانه: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المَائِـدَة الآية ١٤] فالعملُ

بشرع الله ﷻ أمان، والإيمان بالله ﷻ الذي منه العمل الصالح سببٌ لحصول الأمن الذي هو نتاج عن حصول الإتلاف والاجتماع.

⇦ومن أسبابِ حصول الفرقة أيضًا: مخالفةُ أمر الله ﷻ، والركونُ إلى الدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[1].

⇦ومن أسباب حصول الفرقة: الإحداثُ في الدين والابتداع فيه.

فإن سنة رسول الله ﷺ معها الاجتماع والإتلاف؛ فإن رسول الله ﷺ ما جاءَ بشيء من الأحكام إلا ما كان فيه اجتماع المسلمين، وإتلاف قلوبهم، وحصول الألفة والمحبة بينهم، وتعاضدهم، وتعاونهم.

وأما البدعة؛ فإنها مقرونةٌ بالفرقة، وبالضلالة، وبالتنازع والاختلاف؛ **وأولُ الاختلاف:** الاختلاف في أمرِ الشرع.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأَنْعَام الآية ١٥٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الرُّوم من الآية ٣١ الى الآية ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأَنْعَام الآية ١٥٩].

والأهواءُ من أعظم ما تحصل به الفرقة والاختلاف؛ لأنها مخالفة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، وقد كانت وصيةُ رسول الله ﷺ لأمته: أن قال لهم: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[2].

---

(1) – أخرجه أبو داود (3462).

(2) – أخرجه الترمذي (2676).

فدلَّهم صلوات الله وسلامه عليه عند الاختلاف بالرجوع إلى سنته وسنة الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم، وهو ما يعني أن ترك سنته ﷺ، وترك سنة الخلفاء الراشدين سببٌ لحصول الاختلاف الكثير، وسببٌ للتفرق والتشرذم.

⇦من أسباب حصول مفارقة جماعة المسلمين أيضًا: تركُ الاعتصام بكتاب الله تعالى.

الذي قال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمۡرَان الآية ١٠٣].

وقد قال جماعة من المفسرين في معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عِمۡرَان الآية ١٠٣] قالوا: أي بكتابه.

وجاءت في ذلك تفاسير أخرى مردها ومرجعها كلها إلى ذاتِ المعنى، وهو لزومُ شرع الله تعالى.

والاعتصامُ بحبلِ الله ﷻ مورثٌ للاجتماع وعدم الفرقة؛ ولذلك أخبر الله ﷻ بمنته: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عِمۡرَان الآية ١٠٣].

←ومما يَحسُن التنبيه عليه: أن الاختلافَ والتفرق سُنةٌ من سنن الله تعالى في الأمم السالفة وفي هذه الأمة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[1].

وكل هذا منشأه هذا الأصل الذي هو تركُ أمر الله ﷻ في توحيدِه، وفي أمرِه ونهيِه، وتركُ سنة رسول الله ﷺ في اتباعه وفي أمره ونهيِه.

والمتأمل يرى أن أهل الحق والإيمان في جنبِ أهل الباطل قليل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يُوسُف الآية ١٠٣].

(1) - أخرجه الترمذي (2640).

وأنتَ ترى حالَ كثيرٍ من بلاد الإسلام؛ يرون أن الخروج على جماعة المسلمين وتفريقَ شملهم من أعظمِ ما يحصل لهم به الأمان والاستقرار، وهو من العجب الذي لا ينقضي، وكثيرٌ منهم يرى حال الأمم حوله.

وطريقة القرآن تدلنا على وجوب الاعتبار، والتفكر والتأمل في أحوال الأمم السابقة السالفة، والالتفات إلى ما كان عليه غيرنا لأجل أن نجتنب ما كانوا عليه من أسباب هلاكهم وتفرقهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإِسْرَاء الآية ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الرُّوم الآية ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التَّوْبَة الآية ٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٣٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فَاطِر الآية ٤٣].

فالعاقل يعتبر بحالِ من حوله، ممن فاته حظه من الدنيا ونصيبه منها، بل ممن فاته حظه من الإيمان والعمل الصالح الذي أمر الله ﷻ بإقامته، وما حصل من زوال الأمن، وما حصلَ من انتهاكِ الأعراض وسلبِ الأموال وسفكِ الدماء، وفي ذلك مُعتبرٌ لمن نوَّر الله ﷻ قلبه وبصيرته للاعتبارِ بحالِ من حوله من الأمم.

وهنا يأتي البيانُ المهم لشأن ما يتعلقُ بما يُدعى إليه اليوم وينادى به في كثيرٍ من البلاد التي تدعو إلى إقامةِ الأحزاب والجماعات، وهم يعلمون أنَّ دين الإسلام وشريعته ما جاء إلا بحزبٍ واحد

فقط هو حزب الله ﷻ أي الحزب الذي يتَّبع كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ.

وما جاءَ الإسلام إلا بجماعةٍ واحدة هي جماعةُ المسلمين التي تكون تحت راية ولي الأمر؛ تأتلف حولها، وتذب عنها ذبًّا عن حياض الإسلام وعن شرع الإسلام ودين الإسلام، وبلاد الإسلام، وحفاظًا على بيضة الإسلام.

والحزبيةُ التي يُدعى إليها في كثيرٍ من بلادِ الإسلام وللأسف إنما هي نزعةٌ جاهليةٌ حالها كحالِ العصبيةِ القبليةِ التي كانت قبلَ بعثةِ رسول الله ﷺ، ومُخالِفةٌ لما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الكامل التي فيه يكونُ اجتماع وإتلاف القلوب، ولذلك أنت ترى أن الإسلام كان في زيادةٍ في صدره فلما حصل فيه ما حصل من بدعةِ الخروج على جماعةِ المسلمين؛ حَصلَ الضعف، والمهانة.

يقول الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب [الاعتصام]:

"ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَزِيدُ الْإِسْلَامِ، وَاسْتَقَامَ طَرِيقُهُ عَلَى مُدَّةِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وَأَكْثَرِ قَرْنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إِلَى أَنْ نَبَغَتْ فِيهِمْ نَوَابِغُ الْخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ، وَأَصْغَوْا إِلَى الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ، كَبِدْعَةِ الْقَدَرِ، وَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ، وَهِيَ الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْهَا الْحَدِيثُ بِقَوْلِهِ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»[1].

إلى أن قال: وَهَذَا كُلُّهُ فِي آخِرِ عَهْدِ الصَّحَابَةِ.

ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الْفِرَقُ تَكْثُرُ حَسْبَمَا وَعَدَ بِهِ الصَّادِقُ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[2].

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ، لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟**»"[3].

---

(1) – أخرجه البخاري (3344) ومسلم (1064).

(2) – سبق تخريجه.

(3) – أخرجه البخاري (6888).

أي من غيرهم؟!

قال الشاطبي: "وَهَذَا أَعَمُّ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ الْأَوَّلَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ خَاصٌّ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَهَذَا الثَّانِي عَامٌّ فِي الْمُخَالَفَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «**حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**»".

ثم نبه على فائدة عظيمة، ومسألةٍ جسيمة فقال: "وَكُلُّ صَاحِبِ مُخَالَفَةٍ، فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ إِلَيْهَا، وَيَحضَّ سِوَاهُ عَلَيْهَا، إِذِ التَّأَسِّي فِي الْأَفْعَالِ وَالْمَذَاهِبِ مَوْضُوعٌ طَلَبُهُ فِي الْجِبِلَّةِ، وَبِسَبَبِهِ تَقَعُ فِي الْمُخَالِفِ الْمُخَالَفَةُ وَتَحْصُلُ مِنَ الْمُوَافِقِ الْمُؤَالَفَةُ، وَمِنْهُ تَنْشَأُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ لِلْمُخْتَلِفِينَ"

انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا يدلك على أن كل مخالفٍ يدعو الناس إلى مخالفته، ويحض الناس عليها ويدعوهم إليها نُصرةً لها، وهنا تنشأ الفرقة بين أهلِ الإسلام وأهل الدين، ويحصلُ بينهم التكفير بين بعضهم بعضًا، وانتهاك الأعراض، واستحلال الدماء، وفوات الأمن الذي به تكون إقامة الدين وإقامة الدنيا.

والحاصلُ أن المؤمن يجب عليه أن يعتبر بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٠٢].

ثم نبَّه ﷻ على أن أهل الإيمان كما أنهم مأمورون بتقوى الله فإنهم مأمورون بالاعتصام بحبل الله فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٠٣].

وقد جاء عن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود قال في تفسير هذه الآية: "حبل الله قال: الجماعة"، وهو مما نبهنا عليه من التفاسير الأخر في هذا المعنى.

ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرَات الآية ١٠].

ويقول رسول الله ﷺ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[1].

---

(1) – أخرجه البخاري (6065) ومسلم (2559).

أهلُ الإيمان حالهم على الولاية بينهم، وكل منهم يوالي الآخر؛ فيوالي أخاه في الدين، ويُعمل ذلك في نفسه وفي أهله وفي ولده، وهو قولُ الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التَّوْبَة الآية ٧١].

وقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأَنفَال الآية ١].

كما أنه يجب هنا معرفةُ أنَّ الجماعةَ رحمة، وأنَّ الفرقة عذاب، وقد جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ»[1].

وجاء في أمر رسول الله ﷺ، ووصيته لحذيفة ﷺ أنه قال حين سأل حذيفة بالرشادِ فيما أخبر به رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» **قال: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ فقال رسول الله** ﷺ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»[2].

وانظر في عمومِ النصوص الشرعية الآمرة بالجماعة والناهيةِ عن الفرقة، قال رسول الله ﷺ: «يَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ»[3].

وجاء عن رسول الله ﷺ كما في زوائد عبد الله بن أحمد على [المسند]: «اثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ، وَثَلَاثَةٌ خَيْرٌ مِنَ اثْنَيْنِ، وَأَرْبَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَجْمَعَ أُمَّتِي إِلَّا عَلَى هُدًى»[4].

وثبت عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ»[5].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[6].

---

(1) – أخرجه أحمد (13350).

(2) – أخرجه البخاري (3606).

(3) – أخرجه الحاكم في المستدرك (391).

(4) – أخرجه أحمد (21293).

(5) – أخرجه الترمذي (2165).

(6) – أخرجه البخاري (481).

في أحاديث وآيات أُخر كثيرة جاءت في هذا المعنى الجليل الذي أمر الله ﷻ فيه بلزوم الجماعة والحذر من الفرقة، ورأس الأمر كما سبق وسلف توحيد الله ﷻ واتباع رسول الله ﷺ، وسلوكِ سبيله وسبيل المؤمنين وأهلِ الإيمان، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأَنْعَام الآية ١٥٣].

ولعل فيما جاء بيانه وذكره كفاية وعبرة، وأسأل الله ﷻ أن ينفع بما قلنا، وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم إنه ﷻ ولي ذلك.

والله أعلى وأعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك☏

https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 ريديت Reddit 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 تشينو chaino 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 بنترست Pinterest 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 سناب شات Snapcha 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية